مقدمة

يعتبر ريتشارد بولسلفسكى علم من أعلام المسرح النابغين ، وعملاق من عمالقة فن التمثيل والإخراج ، فقد كان ممثلاً بارعاً فى مسرح موسكو الفنى ، ومخرجاً عبقرياً فى مسرح استوديو موسكو الفنى . ثم رحل إلى أمريكا فكان مخرجاً لعدة روايات ناجحة فى مسرح اللابوراتورى فى برودواى ولأفلام عديدة فى هوليوود .

لكل ذلك يعد كتابه هـذا عملا خالداً من أعمال العباقرة الأفذاذ فهو نتاج عقلية ناضجة صقلتها التجارب فى ميدان فن التمثيل . ولقد فتح بولسلفسكى بوضعه هذا الكتاب فتحاً رائعاً فى أفق الفن لزملائه الممثلين والمخرجين .

والفرق واضح بين بولسلفسكى حين يكتب فى فن التمثيل ، وهو الممثل البارع والمخرج القدير ، وبين كتابة أى كاتب مسرحى آخر فى هذا الفن ، فهو حين يكتب فى التمثيل تحس إمكان التعبير عن كتاباته بالعمل ، فإن لغته هى لغة الحركة والإشارات والتعبيرات الصوتية وخلق وإبراز الشخصيات بأشياء عملت أو تركت بدون عمل . فى حين أن أى كاتب مسرحى آخر يلعب بسهولة بالألفاظ ويكتب بطلاقة فى تحليل الشخصيات والمواقف والحوادث بتعبيراته الخاصة .

وعلى كثرة ما كتب الناس عن الفن ومهنة التمثيل . فالواقع أن الكتاب المسرحيين والنقاد هم ـ وحدهم ـ الذين كتبوا عنهما . ولعل ذلك هو السبب فى قلة المطبوعات التى تشرح الممثل لنفسه ولزملائه .

ولقد امتاز من بين الممثلين الذين حاولوا أن يشرحوا التمثيل ، من متقدميهم مثل تالما وڤانى كمبل وكركلان . ومن المحدثين لويس كالفيرت وستانسلفسكى . ولكن نصيب الأخير من التآليف الشيقة ممزوج بتاريخ حياته الخاصة « حياتى فى الفن » وأما كل الباقين عموماً ، فقد اتجهوا فى كتاباتهم اتجاهاً فلسفياً فى التمثيل بدلاً من أن يحللوا عناصر فن التمثيل أو يعبدوا طريقاً فنياً يسير فيه الممثلون .

هل إذا أراد ممثل أن يصور عاطفة وجب عليه أن يكون قد جربها ؟

وهل يكون أحسن تصويراً لها إذا هو جدد فعلا شعوره فى كل مرة يمثل فيها هذه العاطفة ؟

وهل يجب أن يكون التمثيل منتزعاً من صميم الحياة أو ألا يشاكلها ؟

هذه هي المشاكل التي تقدم لحلها هؤلاء الفلاسفة الممثلون، وبهذه الإيضاحات المستخرجة من الخبرة الفنية العالية ، جاءت كتاباتهم فأثارت الميدان الفني ..

لقد هذبوا القواعد الأساسية للفن وخلصوه من كل شائبة فأسدوا يداً بيضاء لأهل هذا الفن . ولكنهم لم يأخذوا بيد الممثل لكي يتفهم عناصر حرفته. ولهذا نجد — بناء على بعض الاعتبارات — أن مقالات بولسلفسكي أغنى هذه الدروس الأولى في التمثيل التي صاغها في صورة حوار ، تقف فريدة في ميدانها عذبة في صيغتها ، ولاتوجد كلمة في أي مثال منها إلا ولها أهميتها القصوى حتى أنها لتعد ثمرة سنوات من العمل والدراسة للممثل ولمخرج في حرفته وفي الفن المسرحي ، يقدمها ليساعد الممثل الصغير على شق طريقه ، انه حقيقة يختار له أدواته الفنية ويريه كيف يستعملها وهذا واجب عظيم منتج . فبينما هذه الأدوات موجودة في جسم الممثل وعقله وروحه إلا انها لشدة قربها منه أصعب في انفرادها واستعمالها الخاص من الأدوات الخشبية والحديدية . فالتركيز والملاحظة والخبرة والذاكرة والحركة والوقوف والخلق والتنفيذ ، كل هذه يجب على الممثل أن يصيرها في خدمة موهبته ..

وقد وصف بولسلفسكي نفسه في فقرة كتبها من عدة سنين مضت عن أساس الميدان الذي يجول فيه هنا « فن التمثيل » حيث قال : « فن الممثل لا يمكن ان يعلم بل يجب أن يولد مع الاستعداد ولكن طريقة التنفيذ التي يمكن بها للموهبة أن تحسن التعبير هذه يمكن بل يجب أن تعلم »

وتقرير هذه الحقيقة مهم جداً لا لطلبة التمثيل فحسب ولكن لكل ممثل يهتم بتحسين فنه . وبعد كل ذلك فطريقة التنفيذ الفني شيء مثالي للغاية ويستطيع الإنسان الوصول إلى امتلاكها .

وأساس طريقة التنفيذ هذه هو مجرد تنمية وسائل الممثل الطبيعية .. ومع أن بولسلفسكي يعترف بها بل ويصر على أهميتها . ولكن ليس هذا ما يعنيه بولسلفسكي بطريقة التنفيذ . بل يشبه تدريب الجسم بطريقة إصلاح نغمات الآلات الموسيقية « حتى السكمان المصلحة أوتارها إصلاحا متقناً » ثم تابع كلامه « لا يمكن أن تلعب بنفسها بدون الموسيقى الذي يجعلها تغني » وإعداد الممثل المثالي ... لا يكون كاملاً

إلا إذا كانت لديه . . . طريقة تنفيذ « صانع العاطفة » أو « المبدع » فيستطيع أن يتبع نصيحة جوزيف جيفرسون « أن تحفظ قلبك ساخناً ورأسك بارد » أيمكن أن يعمل هذا ؟ يمكن بكل تأكيد ! . .

انه ضرورى حسب ، للتفكير فى الحياة كنتيجة متصلة لنوعين مختلفين من الخطوات . . . مسألة الخطوات وعمل هذه الخطوات

والخطوة الأولى للمثل هي أن يفهم المسألة التى تواجهه وبعد ذلك تدفعه شرارة الإرادة إلى العمل النشيط . عند ما يدرك الممثل ان الحل لقطعة ما يشتمل على مجرد القدرة على الوقوف على المسرح لمدة ربما لا تزيد على $\frac{1}{10}$ من الثانية بارد الرأس وثابت القصد منتبهاً للمسألة التى أمامه وبعد ذلك فى $\frac{1}{10}$ من الثانية التي تليها ، أو ربما تكون خمس أو عشر ثوان فيقذف بنفسه بشدة فى العمل الذى تتطلبه الظروف وبذلك يكون قد أنجز طريقة التنفيذ الكاملة فى التمثيل . أولاً أن تعلم جيداً ماذا تعمل ، وبعد ذلك تعمله باتقان . هذا هو كل شىء .

ولكن بولسلفسكى لم يضع من باب المصادفة زيارات الفتاة التى هى موضوع هذه المقالات وانفصال هذه الزيارات بشهور وأحياناً بسنين . انه يفكر عملياً وليس لرغبة التفكير فحسب . إنه يعلم طول الطريق التى تحتاج أن تسير فيها بين هذه الدروس . وهو يعلم أن التمثيل ، أكثر من أى فن آخر ، أقل وصف له بأنه أقل من الجيد يجعله بعيداً عن أن يوصف بالاجادة . والممثل لا يمكن أن يصبح ممثلاً بين عشية وضحاها ، وهو يقبل الحقيقة القائلة بأن مهنة التمثيل ربما تشغل عمل الحياة كلها وانها لمهنة تستحق عمل الحياة كلها .

هذا بعض ما جاء فى المقدمة التى قدم بها (ادث ج . د . إيزاك) لترجمة هذا الكتاب إلى الإنجليزية ولئن جاز لنا أن نضيف شيئاً إلى تقدمة الترجمة العربية ، فإن هذا المخرج البولندى الأصل الروسى الجنسية قد أدى إلى المسرح الروسى والألمانى والأمريكى أجل الخدمات . بل لقد أدى إلى الفن التمثيلى فى المسرح والسينما فى العالم ما يجعله بحق فى طليعة من خدموا هذا الفن وما يجعل كتابه مناراً يهتدى بهديه لرواد هذا الفن الرفيع .

ولعلنا بترجمة هذا الكتاب نكون قد وفقنا الى وضع لبنة فى دعائم المسرح والسينما فى بلادنا العزيزة .

هلمى عبد الجواد السباعى . جميل محمد مطاب

القاهرة ابريل سنة ١٩٤٧